

صليب بشير والشهداء

بقلم دمون الشدياق

في ١٤ أيلول ١٩٨٢ إنطفئت شعلة الإيمان والتضحية والالتزام حتى الشهادة التي كانت بشير الجميل، ولكنها في الوقت ذاته انبثقت مشعلاً في قلوبنا يضيء طريق مقاومتنا. انبثقت منارة تدعونا في الليالي الحالكة إلى ميناء واحد اسمه الحرية .

الأبطال عندما يغيبون وكلما ابتعدوا عنا نحو شمس الحق، كلما تعاضم ظلهم فطوانا واكتنفنا. هم كأشعة الشمس، أشعة أثيرية لا تلمس، ولكن بدونها الحياة بلا حرارة، بلا ضوء، وبلا أمل. نعم لقد ترك بشير الجميل الكثير من الآثار التي نحفظها وندرسها ونعيشها. آثار أثرت في مقاومتنا وتاريخنا، ولكن ليس هناك من أثر أعمق من الذي تركه بشير في نفس ووجدان كل واحد منا. عشرون عاماً مضت على استشهاد بشير الجميل وما زال الشخصية التي تجيش أكبر عدد من المقاومين لمواجهة أعداء لبنان.

عشرون عاماً مضت وما زال أعداء لبنان حتى اليوم يخشونه أكثر من أي شخصية سياسية أخرى في لبنان.

قبل بشير الجميل كانت السياسة فن المعقول وبعد بشير الجميل فن حصاد المستحيل لا يحدها إلا مخيلة وساعد.

بعد بشير أصبح الالتزام حتى الشهادة قربانة كل مقاوم.

والترفع عن الأنانية والذاتية إنجيله.

والوحدة من أجل لبنان حر سيد مستقل محجته.

بعد بشير الجميل أصبح للكلمة قدسية الصلاة ، وللقلم رهبة القدر، وللحبر لون قرمزي أحمر تعبق منه رائحة دم الشهداء الذكية ، وأصبحت الكلمات والأقلام في خدمة محراب الحقيقة.

بعد بشير الجميل لم يعد قول الحقيقة فضيلة وخيار شخصي بل واجب تجاه أرواح الشهداء .

قبل بشير الجميل كان هناك مقاومون وكان هناك مقاومة ولكن مقاومة من المجهول إلى المجهول، مقاومة غريزية بدائية من إنتاج الشارع والحي والمحلة وبعد بشير الجميل أصبحت مشروع وطني يعمل له كل مؤمن بديمومة لبنان. مقاومة ومهما طالت فمن الحلم إلى الوطن، وما بين الحلم والوطن إلا طرقات بطولة وتضحية، ومساحة بحجم ال ١٠٤٥٢ كلم^٢، وصليب رفعه بشير والشهداء منارة لتتير ظلمة الطرق الصعبة لنلا نضيع ونحرف كما يفعل ضعاف النفوس والبيوضاسيون.

بعد بشير الجميل لم يعد من مجال للغلط وللانحراف فقد أصبح الطريق واضح والمنارة ساطعة لكل من كان من طينة الأبطال.